

العربية تقريباً، بتمثيلها وبالذفاع عنها وبتشخيص مثالاتها. وقد استُخدمت القضية الفلسطينية، من قِبَلِ مُعظم السياسيين الانتهازيين والرجعيين والمتواطئين، لأغراض سياسية داخلية في كل بلد عربي، لاستثارة الشعور القومي، وتغطية لما يعانيه الشعب العربي، من تخلف وتسلط وحرمان.

وفي رؤية استشفافية لمستقبل الفتح الفلسطيني. كان كمال جنبلاط الثوري يحلم. فيقول: «وكم كنا نصبو، في هذه الأيام وبعد النكسة بقليل، على نحو أشد مما كنا نتخيله في الماضي، أن تقوم جماعات من اخواننا الفلسطينيين بالمئات وبالآلاف وعشرات الألوف وتحاول اجتياز الحدود بشكل سلمي لا عنفي، أو تُزِدُّ على أعقابها أو تُعتقل، ثم تعاود من جديد ذلك، دائماً وأبداً، عبْرَ بضع المئات من الكيلومترات التي تُولف، حدود الدولة اليهودية وأن تتحمل الأذى، بابتسام، والعذاب، بالشجاعة المعنوية، على الطريقة التي كان يتبعها المهاتما غاندي في الهند...». وقد لبَّى الفلسطينيين نداء كمال جنبلاط، لكن مسلّحين، بما تيسر، لمواجهة ما واجهه الفيتكونغ — على حد تعبيره — من «جحيم نيران القوات الأميركية التي تنصّب عليهم، من البحر ومن الجوّ ومن البر، في سعيه أبناء الشياطين». ويسأل كمال جنبلاط الاخوان الفلسطينيين عن شعار العودة مشيراً إلى أنه «لامعنى له إذا كانت العودة ستحصل بقوة الجيوش العربية مجتمعة... وهل تجتمع، ومتى يكون ذلك؟» ويجيب: إنني أعلم الظروف الأليمة التي يعيش فيها اخواننا العرب الفلسطينيين، ولكنهم مسؤولون، على قدر ما نحن أيضاً مسؤولون. ثم يضيف مُفسِحاً في الأمل المشترك، له ولهم: «إن إعادة اعتبار العمل السياسي المنظم، كأداة فضلى في النضال، هي ضرورة للتخلص من الأنظمة العسكرية والحكم المتخلف التي تسيطر على العالم العربي».

وفي السبعينات، وبعد غياب عبدالناصر وانتقال ثقل الكفاح الوطني والنضال العربي إلى الساحة اللبنانية، التي تحوّلت من واجهة عربية إلى ساحة للمواجهة العربية مع إسرائيل، أصبحت الثورة الفلسطينية، ممثلة بالعمل الفدائي، هي المحرك الأساسي، بنظر كمال جنبلاط، للقضية الفلسطينية، فطوّر، بين السبعينات والثمانينات، نظرية وممارسة «الثورة المشتركة» القائمة على وحدة السياسة والقتال (الديمقراطية والبنديقية، أو الديمقراطية القوية، المنظمة). وكان كمال جنبلاط في طليعة الكاشفين الناقدين لازدواجية سلوك السلطات اللبنانية تجاه العمل الفدائي، وارتباطها بالسياسة الأميركية (نظرية شارل حلوق: الحياد بين العرب واسرائيل، ثم الانحياز لاسرائيل ضد العرب). وكان موقفه، منذ عام ١٩٦٩، يتجلى في مطالبته الدائمة بفصل «قضية الفدائيين عن أية سياسة داخلية في البلاد سوى مصلحة لبنان العليا، في ظهوره بمظهر المشاركة العربية التي تجلّت إلى حدٍ مقبول في سياسة عهد الشيخ بشارة الخوري والعهد الاستقلالي الأول، والابتعاد بلبنان عن سياسة الانحياز الأجنبي، وعن المحاولات الداخلية الرامية إلى إبقاء السلطة في غير الأيدي، الديمقراطية التمثيلية، التي يجب أن تتسلّمها وتقودها. فيجب أن لا يضيع علينا، في الداخل [...]، أن المطلوب، هو واحد، هو منع اللعب بالوحدة الوطنية الشعبية».